



إببارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

نوفمبر ٢٠١٦

أبنائي،

لماذا اختار كلاً منا هذه الدعوة الرهبانية؟ من جئت لتخدم؟ هل جئت لنفسك أم لتمجد الله؟
تذكّر القصة التي حدثت في أربعينيات القرن الماضي لرجل يدعى "حافظ"، والذي دخل الدير وانخرط في سلك الحياة
الرهبانية لهرب من السلطات. لقد كانت طريقه مأكرة وبارعة في نفس الوقت، حتى أنه في وقت قصير تمكن من الحصول على
حظوة عند الجميع حتى أُنتخب ليصبح أسقفاً! ومع ذلك فإن إلهنا الرحوم العالم بكل الأشياء وبواطن الأمور كشف مكره
وأظهر خداعه، وهرب "حافظ" مرة أخرى من الله.

كان رجلاً يبدو في الظاهر فاضلاً، ولكنه من الباطن مليئاً بالخداع...
كان يظن في نفسه أنه داهية، ولكنه كان الضحية الكبرى لنفسه.

أبنائي،

عندما نسلك بطرق لا تليق بمن كرّس حياته لله، ألا نخدع نحن أيضاً أنفسنا؟
دعونا نفكر فيما يجعل أمر تحمّل التجارب صعباً جداً علينا، لنفحص أنفسنا، هل ندعي الصلاح أم لا؟ وإذا ما واجهتنا
عقبة ما، فهل يكون رد فعلنا معاكساً تماماً لهذا الادعاء؟
هل نتحدث ونؤكد على أمانتنا لذور الفقر الاختياري، والعفة، والطاعة ... بينما نسعى للراحة، ونتحدث بالسوء على
أخواننا/ أخواتنا، ونطبع فقط من هم في السلطة ليكون لنا دالة وحظوة لديهم؟
دعونا نفحص أنفسنا ونُجيب على هذه الأسئلة بأمانة وصدق.

الفقر الاختياري هو فضيلة تنبع من إنكارنا لمشيئتنا. ولذلك، دعونا نسأل أنفسنا: إذا طُلب منا أن نخدم مع آخرين، هل
نجد في أنفسنا الرغبة في أن نكون في موقع السلطة؟ هل نجد صعوبة في التخلي عن آرائنا والخضوع لرأي الآخرين؟ يقول
القديس مار اسحق السرياني: "طالما اختار الإنسان أن يتحرر من المقتنيات، يظهر في ذهنه الرحيل من الحياة"^(١).
وهكذا فإن رغب الإنسان في التشبث برأيه، فإن أفكاره تكون مُرتكزة في تربة هذا العالم وليس في الدهر الآتي. ويضيف
قائلاً: "إذا كانت لديك مقتنيات، فقم بتوزيعها على التو، ولكن إن لم يكن لديك شيء، فلا تشته شيئاً. اكنس
قلابتك واخلفها من كل رفاهية أو أشياء زائدة عن الحاجة، وهذا سوف يقودك إلى عدم الإسراف في الطعام
والشراب وضبط النفس حتى ضد إرادتك. الاحتياج والعوز في كل شيء يُعلم الإنسان الصبر؛ ولكن كلما تمتعنا
بالمقتنيات، نكون غير قادرين على السيطرة على الأهواء، ونفشل في ضبط أنفسنا"^(٢).

تأملوا هذه الكلمات، ليس فقط بشأن الأشياء المادية، ولكن فيما يتعلق بالأشياء غير الملموسة التي نرفض التخلي عنها.
وعندما نتخلى عن شيء ما، فلا ينبغي أن نفعل هذا ونحن لدينا أهداف أخرى أو توقعات ما، كما قال أيضاً مار اسحق:
"عندما تصنع الخير لأحد، لا تنتظر المجازاة منه. وسوف تتلقى المجازاة من الله على الأرض وفي السماء.

ولو استطعت، فلا تصنع الخير من أجل المجازاة في الدهر الآتي، بل بالحرى، مارس الفضيلة من أجل محبتك
لله"^(٣).

(١) مترجم من الإنجليزية

Saint Isaac the Syrian. The Ascetical Homilies of Saint Isaac the Syrian. Boston, MA: Holy Transfiguration Monastery, 1984.

(٢) المرجع السابق. (٣) المرجع السابق.

العفة لا تشير فقط إلى طهارة الجسد، ولكن أيضاً إلى طهارة العقل ومن بين أمورٍ أخرى، هي أيضاً العفة من شهوة الاحترام والتبجيل والمجد، ومن الأفكار الرديئة وسوء الظن تجاه أخواننا/ أخواتنا. "ليس العفيف هو من يقول إن الأفكار المخجلة تتوقف بداخله في أوقات اشتداد القتال والجهاد، وإنما هو ذلك الذي يجعل عقله نقياً باستقامة قلبه، حتى أنه لا يستطيع أن يُحدِّق في الأفكار النجسة بدون حجل" (٤).

كوننا خدام لله، يجب علينا أن نحارب ضد أي فكر لا يرضي الله، ويجب علينا أن نبذل ما في وسعنا لنحب على الدوام وبكل قلوبنا. "لا تسمح العناية الإلهية لأولئك الذين صمدوا في التجارب أن يسقطوا في يد الشياطين، وبالأخص لو كانوا يُقبَلون أقدام الأخوة، ويسترون أخطائهم ويخفونها كما لو كانت أخطائهم الخاصة" (٥). يجب علينا أن نتذكر هذه الكلمات عندما نشعر بالرغبة الملحة في الشكوى من أخواننا/ أخواتنا.

الطاعة هي نذر لم يكن لدى أيّ منا مشكلة في قبوله أو التعهد به في بداية دخولنا الدير. ومع ذلك، فما أن نصبح أعضاء في السلك الرهباني حتى يكون النذر الوحيد الذي لا نشعر بأية مشكلة من كسره، حيث نقنع أنفسنا بطريقة أو بأخرى أنه إذا كان المطلوب منا غير منطقي، فإنه لا مانع من المجادلة. "قالوا عن الأب سلوان إنه، بينما كان يمشي مع الشيخ الإسقيط، أراد أن يظهر لهم طاعة تلميذه التي من أجلها يحبه. فلما رأى خنزيراً برياً صغيراً، قال له:

- "هل ترى ذلك الجاموس الصغير يا ولدي؟" أجابه التلميذ:

- "نعم يا أبت".

- "وقرناه، ألا تراهما جميلين؟" قال:

- نعم يا أبت. فتعجب الشيخ من جوابه وتشددوا بسبب طاعته" (٦).

ربما نقرأ هذا ونشعر أننا دائماً ما نطيع الشيخ (الذين يسبقوننا)؛ في هذه الحالة، دعونا نسأل أنفسنا ما إذا كانت طاعتنا جزئية وموجهة فقط تجاه هؤلاء الشيخ؟ أم أنها تمتد إلى طاعتنا لأخواننا/ أخواتنا حيال ما يطلبونه منا. إن الأكثر سوءاً من عصياننا ورفضنا طاعة من يسبقنا من الشيخ، هو رفضنا الطاعة لطلب ما ببساطة لأنه أتى من أخ أو أخت لنا. حيث أننا كثيراً ما نعتقد أن مثل هذه الحالات لا ينطبق عليها نذر الطاعة. لكني أقول لكم أنه بالتأكيد ينطبق عليها. دعونا نفحص أنفسنا بإمعانٍ وتدقيقٍ، وذلك من خلال نعمة الروح القدس، لنرى ما هو الدافع الكامن وراء أهوائنا ورغباتنا؟ ومن ثم نُقَوِّم طرقنا.

فلنسلك في هذا الطريق كخدام أمناء لله، حاملين صليبنا، وحافظين نذورنا. نُعَلِّم أن "يحرس قلبنا ما يُعَلِّمه لساننا" (٧)، لكيما لا نُسأل أبداً هذا السؤال: "يا صاحب، لماذا جئت؟" (مت ٢٦: ٥٠).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

(٤) مترجم من الإنجليزية

Saint Isaac the Syrian. The Ascetical Homilies of Saint Isaac the Syrian. Boston, MA: Holy Transfiguration Monastery, 1984.

(٥) المرجع السابق.

(٦) الأب مرقس تلميذ الأب سلوان، أقوال الآباء الشيخوخ، (منشورات النور، ١٩٩٠-١٩٦٠، لبنان) ص ١٩٦. (٧) المرجع السابق [مترجم من الإنجليزية].